

رَأْيَاتُنَا  
كِرِيْسِيْتِي

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ  
(لِلتَّصْفِيْحِ وَالْإِطْلَاعِ)

قَضِيَّةٌ سْتَايْلِزُ الْغَامِضَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أبحاثنا كريسي

## قضية ستايلز الغامضة

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٢٠

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: مَي العاني

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال  
للترجمة  
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي  
المنشورة أول مرة عام ١٩٢٠ بعنوان

## The Mysterious Affair at Styles

Copyright Agatha Christie 1920

حقوق الطبع محفوظة للناشر:  
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب  
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية  
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers  
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة

٢٠٢٠

## الفصل الأول

### ذاهب إلى ستايلز

ضَعُفَ اهتمام الناس الآن بعض الشيء بما كان معروفاً في حينه باسم «قضية ستايلز». ومع ذلك، ونظراً إلى الشهرة العالمية الواسعة لتلك القضية، فقد طلب مني صديقي بوارو وأفراد العائلة أنفسهم أن أدوّن القصة كلها، ونحن واثقون أن ذلك سوف يُسكِّت الإشاعات التي دارت حول الموضوع.

سأبدأ بالظروف التي أدت إلى صلتني بالموضوع. بعد إعفائي من الخدمة العسكرية على الجبهة لظروف مَرَضِيَّة وبعدها قضيت بضعة أشهر في مَصَحَّ كَثِيب للنقاهاة مُنِحَتْ إجازة مرضية لمدة شهر واحد.

وحيث إنني كنت بلا أقارب أو أصدقاء حميمين فقد رحلت أفكر محاولاً أن أقرر ماذا أصنع، وعندها التقيت بجون كافيندش الذي لم أكن قد رأيته منذ سنين. وفي الحقيقة لم أكن أعرفه جيداً، فقد كان يكبرني بخمسة عشر عاماً (وإن كان لا يبدو في الخامسة والأربعين). أما معرفتي به فتعود إلى طفولتي، فعندما كنت صغيراً كنت كثيراً ما أقيم في «ستايلز»، قصر والدته في إيسكس.

تبادلنا حديثاً طيباً عن الأيام الماضية، وانتهى الأمر بأن دعاني لزيارة «ستايلز» لقضاء إجازتي المرصية هناك، وأضاف قائلاً: سوف تُسرّ أُمي لرؤيتك مرة أخرى بعد كل هذه السنوات.

سألته: هل أمك بخير؟

قال: نعم، وأظنك تعرف أنها تزوجت مرة أخرى؟

أخشى أنني أبديت دهشتي بصراحة واضحة، فالسيدة كافيندش (التي كانت قد تزوجت والد جون عندما كان أرملاً وله ولدان) كانت امرأة وسيمة في وسط العمر حسبما أتذكرها، لذلك فعملها الآن لا يمكن أن يقلّ عن سبعين سنة! تذكرتها امرأة ذات شخصية حيوية استبدادية، تميل بعض الشيء إلى الشهرة في أوساط العمل الاجتماعي والخيري، مع حبها الشديد لافتتاح الأسواق الخيرية ولعب دور السيدة السخية. كانت من أكثر النساء كرمًا وكانت تملك ثروة كبيرة.

كان السيد كافيندش قد اشترى البيت الريفي المعروف باسم قصر «ستايلز» بعد زواجهما بوقت قصير، وكان واقعاً تحت هيمنة زوجته بحيث أوصى لها بالقصر حين وفاته لتستفيد منه طوال حياتها، بالإضافة إلى الجزء الأكبر من دخله، وهو إجراء مجحف بحقّ ولديه. إلا أن زوجة أبيهما كانت كريمة دائماً معهما، وفي الحقيقة فقد كانا صغيرين جداً عندما تزوج أبوهما مرة أخرى بحيث اعتقدا دائماً أنها أمهما الحقيقية.

كان لورنس (وهو الولد الأصغر) شاباً رقيقاً، وقد حصل

على شهادة الطب، ولكنه اعتزل الطب مبكراً ووقع في بيته ليتابع  
طموحاته الأدبية، رغم أن أشعاره لم يحالفها أي نجاح ملحوظ.

أما جون فقد عمل محامياً لبعض الوقت، ولكنه استقرّ في  
النهاية في نمط العيش الأكثر ملاءمة له كمالك ريفي. وقد تزوج  
منذ سنتين واصطحب زوجته للإقامة في «ستايلز». وانتابني شك  
بأنه كان سيفضّل أن تزيد أمه من مخصصاته بما يمكنه من اتخاذ  
مسكن مستقل له، إلا أن السيدة كافيندش كانت من النوع الذي  
يحب أن يرسم الخطط ويتوقع أن ينساق الآخرون معها، وفي هذه  
الحالة كانت لها اليد الطولى بالتأكيد؛ أعني: السيطرة على المال.

لاحظ جون دهشتي عند سماعي خبر زواج أمه مرة أخرى،  
وتبسم بحزن ثم قال بغضب: وقد تزوجت رجلاً نصّاباً أيضاً!  
أستطيع أن أخبرك - يا هيستنغر - أن ذلك يجعل الحياة صعبة جداً  
بالنسبة لنا، وبالنسبة لإيفي... هل تذكر إيفي؟

- لا.

- آه، أظن أنها جاءت بعدك. إنها خادمة أُمي ومرافقتها،  
وهي صالحة لكل الأعمال وتتحلى بروح رياضية، ومع أنها  
ليست صغيرة ولا جميلة إلا أنها في غاية الشجاعة.

- كنت تريد أن تقول...

- آه، هذا الرجل! ظهر من العدم بحجة أنه ابن عم إيفي من  
الدرجة الثانية أو أحد أقربائها، على الرغم من أنها لم تُبدِ حرصاً  
على إقرار صلة القرابة. إنه دخيل تماماً وأي شخص يمكنه إدراك

ذلك. له لحية كثيفة سوداء ويتتعل حذاء من الجلد الصقيل في جميع الفصول! ولكن أُمي أُعجبت به في الحال وعيَّنته سكرتيراً لها، فأنت تعلم كيف أنها تدير دوماً أكثر من مئة جمعية؟

هزرت رأسي بالإيجاب.

قال: حسناً، وقد حوّلت الحربُ المئات إلى آلاف. وبلا شك فقد كان الرجل مفيداً جداً لها، لكننا صُدمنا عندما أعلنت فجأة قبل ثلاثة أشهر خطوبتها لهذا الرجل، ألفريد! لا بد أن يكون أصغر منها بعشرين سنة على الأقل! هذا -ببساطة- اصطيد ثروة مكشوف. ولكنها سيدة نفسها، وقد تزوجته.

- لا بد أن يكون ذلك وضعاً صعباً بالنسبة لكم جميعاً.

- صعب؟ إنه فظيح!

\* \* \*

هكذا سارت الأمور. وبعد ثلاثة أيام غادرت القطار في محطة «ستايلز سينت ميري»، وهي محطة صغيرة لا يوجد سبب واضح لوجودها، تقبع في وسط الحقول الخضراء والطرق الريفية.

كان جون كافيندش ينتظر على الرصيف، وقادني إلى السيارة في الخارج معلقاً: ما زالت لديّ بضع قطرات من الوقود، وكل ذلك بسبب أنشطة الأم.

كانت قرية ستايلز سينت ميري تقع على بعد ميلين تقريباً من المحطة الصغيرة، أما قصر «ستايلز» فيقع بعد ميل واحد إلى

الجانب الآخر من المحطة.

كان يوماً حاراً في بداية تموز (يوليو)، وبدا من المستحيل تقريباً على من يرى ريف إيسكس المنبسط تحت أشعة شمس ما بعد الظهر بخضرته وسكونه أن يصدق أن حرباً عظيمة تجري في مسارها المرسوم في مكان غير بعيد، وشعرت أنني قد أخطأت طريقي فجأة إلى عالم آخر.

وبينما كنا نعبّر بوابة البيت قال جون: أخشى أنك ستجد المكان هادئاً جداً هنا يا هيستنغز.

- يا صديقي العزيز، هذا هو ما أريده تماماً.

- آه، إذا كنت تريد أن تعيش حياة خاملة فسيكون هذا ممتعاً. أنا أتدرّب مع المتطوعين مرتين في الأسبوع وأعمل في مساعدة المزارعين، وزوجتي تعمل بانتظام في الأرض؛ إنها تستيقظ في الساعة الخامسة كل صباح لتحلب الأبقار وتواظب على العمل بدأب حتى وقت الغداء.

ثم أكمل قائلاً: إنها حياة جميلة جداً بكل اعتبار لو لم يكن ذلك الرجل، ألفريد إنغلثورب، موجوداً.

ثم أوقف السيارة فجأة ونظر إلى ساعته قائلاً: لا أعرف إذا كان لدينا الوقت لأخذ سينثيا. لا، ستكون قد غادرت المستشفى الآن.

- سينثيا؟ إنها ليست زوجتك، أليس كذلك؟

- ليست كذلك. إن سينثيا هذه تحت رعاية أمي، وهي ابنة

زميلتها القديمة في المدرسة التي تزوجت بمحام نذل فشل في عمله، وأصبحت البنت يتيمة ومعدومة بعد وفاته، فتقدمت أُمِّي للإنقاذ وأخذت سينثيا التي صارت تعيش معنا منذ قرابة الستين. وهي تعمل الآن في مستشفى الصليب الأحمر في تادمينستر الذي يبعد سبعة أميال عن هذا المكان.

وبينما كان يتفوه بالكلمات الأخيرة توقفنا أمام واجهة البيت الجميل القديم، حيث رأينا سيدة ذات تنورة صوفية واسعة منحنية على حوض للأزهار، وحين تقدمنا اعتدلت لملاقاة.

قال جون: مرحباً يا إيفي. ها هو بطلنا المصاب، السيد هيسنغز. هذه هي الأنسة هاوارد.

مدت الأنسة هاوارد يدها مصافحةً بحرارة مؤلمة نوعاً ما، ورأيتُ انطباعاً عن عيون بالغة الزرقة في وجه لوحته الشمس. كانت في نحو الأربعين ذات صوت عميق كصوت رجل بنبرته الجَهْوَرِيَّة، ولها جسم كبير وقدمان كبيرتان تناسبان ذلك الجسم، وكانت تتعل جزمة سميكة جيدة.

وسرعان ما وجدت أن حديثها كان مصاعاً بنفس أسلوب البرقيات؛ قالت: الأعشاب الضارة تنمو بسرعة هنا. لا نستطيع مجاراتها. سوف تضغط عليك. الأفضل أن تكون حريصاً.

أجبتها: سأكون مسروراً جداً إذا استطعت أن أكون مفيداً.

- لا تقل ذلك، لا تفعل أبداً. ستمنى أن لا تكون قد قلت ذلك فيما بعد.

قال جون وهو يضحك: إنك متهكمة يا إيفي. أين سنتناول الشاي اليوم، في الداخل أم في الخارج؟

- في الخارج. هذا يوم أجمل من أن نحبس فيه أنفسنا داخل البيت.

قال جون: إذن ادخلي فقد عملت بما فيه الكفاية في الحديقة اليوم، والعامل يستحق أجره! تعالي وروحي عن نفسك.

قالت الأنسة هاوارد وهي تخلع قفازات العمل: "حسناً، إنني أميل إلى موافقتك". ثم سارت أمامنا حول البيت إلى حيث وُضع الشاي تحت ظل شجرة الجُميز الكبيرة.

نهضت امرأة عن أحد الكراسي وتقدمت بضع خطوات لتقابلنا. قال جون: هذه زوجتي يا هيستنغز.

لن أنسى أبداً نظرتي الأولى إلى ماري كافيندش. كان قوامها الطويل الرقيق يبدو مؤطراً في خلفية الضوء الساطع مانحاً إحساساً بطاقة كامنة تبدو وكأنها لا تجد لها متنفساً إلا في عينيها الخضراوين الجميلتين، عينين لافتتين للنظر تختلفان عن عيني أية امرأة أخرى قابلتها في حياتي.

حينني ببضع كلمات من الترحيب اللطيف بصوت خافت واضح، ثم قدّمت لي الشاي، وقد عزّزت ملاحظاتها القليلة الهادئة انطباعي الأول عنها كامرأة ساحرة جذابة. وبما أن المستمع المقدرّ يشجع على الحديث فقد وصفت بطريقة ساحرة بعض الأحداث التي وقعت لي في دار النقاهاة بطريقة أمتعت بها

مضيفتي بشكل كبير.

في تلك اللحظة وصل صوت أتذكره جيداً من خلال الباب الزجاجي المفتوح بالقرب مني، سمعت الصوت يقول: إذن فسوف تكتب للأميرة بعد تناول الشاي يا ألفريد، أليس كذلك؟ سوف أكتب بنفسني للسيدة تادمينستر بخصوص اليوم الثاني، أم يجب علينا الانتظار ريثما نسمع من الأميرة؟ في حالة رفضها يمكن للسيدة تادمينستر أن تفتحه في اليوم الأول، والسيدة غروسبي في اليوم الثاني. وبخصوص مهرجان المدرسة...

كان هناك همس بصوت رجل، وبعد ذلك قالت السيدة إنغلثورب مجيبة: نعم، بالتأكيد، سيكون الوقت مناسباً بعد تناول الشاي. إنك حسن الانتباه يا عزيزي ألفريد.

فُتح الباب أكثر وخرجت منه إلى ممشى الحديقة سيدة أنيقة كبيرة في السن ذات شعر أبيض وهيئة مسيطرة بعض الشيء، تبعها رجل يعطي انطباعاً ببعض التبجيل في أسلوبه. حينئذ السيدة إنغلثورب بأسلوب رقيق قائلة: جميل جداً أن نراك ثانية يا سيد هيستنز، بعد كل هذه السنوات. عزيزي ألفريد، أقدم لك السيد هيستنز... أعرفك بزوجي ألفريد.

نظرت بفضول إلى «العزيز ألفريد»، وبالتأكيد فقد كان يمثل نغمة ناشزة. لم أتعجب من اعتراض جون على لحيته، فقد كانت أطول لحية أراها في حياتي وأكثرها سواداً. كان يضع نظارة ذات إطار ذهبي وكانت ملامحه ذات جمود غريب. وفقزت إلى ذهني فكرة أنه يمكن أن يبدو طبيعياً على المسرح ولكنه غير ذلك تماماً

في الحياة الواقعية! كان صوته عميقاً ومتملقاً، وصافحني بتكلف وهو يقول: أنا سعيد بلقائك يا سيد هيستنغز.

ثم التفت إلى زوجته قائلاً: عزيزتي إيميلي، أظن أن تلك الوسادة رطبة نوعاً ما.

نظرت إليه بلهفة وهو يستبدل بالوسادة واحدة أخرى متظاهراً بحرصه الشديد على راحتها. كان افتتاناً غريباً من تلك المرأة العاقلة!

وبوجود السيد إنغلثورب استقر بين أفراد المجموعة شعور بالتكلف والعداوة المبطنّة، فالآنسة هاوارد بشكل خاص لم تبذل جهداً كبيراً في إخفاء مشاعرها، ولكن لم يبدُ على السيدة إنغلثورب أنها تلاحظ شيئاً غير عادي، ولم يخفّ هذرهما الذي عرفته فيها منذ زمن بعد مرور كل هذه السنين، فقد صبت عليّ سيلاً متصللاً من الحديث، ولا سيما بشأن البازار القادم الذي كانت تنظّمه وكانت على وشك افتتاحه. وبين فترة وأخرى كانت ترجع إلى زوجها في تساؤل عن الأيام والتواريخ، أما هو فلم يتغير أسلوبه في المراقبة والاهتمام بها.

لقد اتخذتُ تجاهه موقف الكراهية العميقة والراسخة منذ البداية، أنا الذي طالما هنأت نفسي بأن أحكامي على الأشياء من النظرة الأولى كانت دائماً حسيّفة للغاية!

التفتت السيدة إنغلثورب لتوجّه إلى إيفيلين هاوارد بعض التعليمات حول رسائلها، فخاطبني زوجها بصوته المجهد: هل الجندية هي مهنتك يا سيد هيستنغز؟

- لا، فقد كنت أعمل قبل الحرب في شركة لويد للتأمين.

- وهل ستعود إليها بعد انتهاء الحرب؟

- ربما. إما أن أعود إليها وإما بداية جديدة بالكامل.

مالت ماري كافيندش إلى الأمام قائلة: ماذا ستختار كمهنة تميل إليها إذا كان الاختيار وفقاً لما تفضّله فقط؟

- حسناً، الأمر يعتمد.

- ألا يوجد لديك هواية سرّية؟ قل لي: هل أنت منجذب إلى شيء ما؟ كل واحد لديه في العادة شيء سخيّف ومضحك.

قلت: سوف تهزئين بي.

ابتسمت وقالت: ربما.

- حسناً، إن لديّ دائماً رغبة دفينّة في أن أكون رجلَ تحرّ.

- في الشرطة أم مثل شيرلوك هولمز؟

- آه، بل مثل شيرلوك هولمز بالتأكيد. أنا في الحقيقة، وبيجّد كامل، منجذب لتلك المهنة إلى أبعد حد. لقد صادفت ذات يوم رجلاً في بلجيكا، إنه رجل تحرّ مشهور جداً، وقد أثار حماسي كثيراً. كان رجلاً ضئيلاً رائعاً، اعتاد أن يقول إن كل أعمال التحري هي مسألة منهج فقط. وطريقيّتي تعتمد على طريقيّته، على الرغم من أنني تقدمت فيها أكثر. كان رجلاً ضئيلاً وممتعاً، شخصاً أنيقاً جداً ولكنه ذكي بشكل مذهل.

علّقت الآنسة هاوارد: أحب قصص التحري الجيدة، لكن فيها الكثير من الكلام التافه. يُكتشف المجرم في الفصل الأخير فقط، وكل شخص يُفاجأ. لو كانت جريمة حقيقية فسوف تعرفها في الحال.

قلت مجادلاً: هناك الكثير من الجرائم غير المكتشفة.

- لا أعني الشرطة، ولكن الناس الذين يعيشون في خِصَمِّها... العائلة. لن تستطيع خداعهم، فسوف يعرفون.

قلت متعجباً: إذن تعتقد أنك إذا وجدتِ نفسك في خِصَمِّ جريمة ما (ولنقل جريمة قتل) فسوف تكونين قادرة على تحديد المجرم بسرعة؟

أجابت: بالطبع أستطيع. قد لا أكون قادرة على إثبات ذلك عملياً، ولكني متأكدة أنني سأعرف مَنْ هو المجرم. سأستشعر المجرم بأطراف أصابعي وأحسّ به إذا اقترب مني.

قلت معلقاً: قد تكون «مجرمة».

قالت: هذا ممكن، ولكن القتل جريمة عنف ترتبط بالرجال أكثر من النساء.

- ليس في حالة دس السم.

أجفّلتني الصوت الصافي للسيدة ماري كافيندش وهي تقول: بالأمس كان الدكتور بورشتاين يقول إنه (وبسبب الجهل العام في مهنة الطب بالسموم غير المشهورة) فمن المحتمل أن كثيراً من

الوَفَيَاتِ التي نشأت من حالات تسمّم لم تُكتشف.

صاحت السيدة إنغلثورب: ما هذا يا ماري؟ يا له من حديث مخيف! إنه يُشعرنني كما لو أن وَرّة تمشي فوق قبري! آه، ها هي سينثيا.

جاءت فتاة شابة بلباس ممرّضة تمشي بخفة عبر العشب.

- لقد تأخرت اليوم كثيراً يا سينثيا. هذا هو السيد هيستنغز... أقدم لك الأنسة سينثيا.

كانت سينثيا شابة ممتلئة بالحياة والحيوية. ونزعت عن رأسها قبة التمريض فأعجبت بشعرها الكستنائي ذي الخصلات الطليقة ويدها الصغيرة البيضاء التي مدتها لتأخذ كأس الشاي، ولو كانت لها عينان داكنتان ورموش سوداء لبدت من أجمل الجميلات.

طرحت نفسها على الأرض بجانب جون وابتسمت لي بينما كنت أناولها طبق الشطائر. قالت تخاطبني: اجلس هنا على العشب فهو ألطف بكثير.

أطعتها وجلست على العشب، ثم سألتها: أنت تعملين في تادمينستر، أليس كذلك يا آنسة؟

هزت رأسها بالإيجاب قائلة: بلى، لسوء الحظ.

سألتها وأنا أبتسم: وهل يتعالون عليك هناك؟

صاحت سينثيا بكبرياء: فليحاولوا!

علّقت قائلاً: لي ابنة عم ممرّضة، وهي تحس بالرعب من

رئيسات الممرضات.

- أنا لا أتعجب من ذلك يا سيد هيستنغز؛ إنهن مرعبات،  
إنهن كذلك بكل بساطة! أنت لا تعرف. ولكنني لست ممرضة  
والحمد لله، أنا أعمل في الصيدلية.

سألته وأنا أبتسم: كم شخصاً سممتِ؟

ابتسمت سينثيا أيضاً وهي تقول: آه، المئات!

نادت السيدة إنغلثورب: سينثيا، هل يمكنك أن تكتبي لي  
بعض الملاحظات؟

- بالتأكيد يا عمتي إيميلي.

قفزت واقفة في الحال، وذكّرتني شيء ما في طريقة تصرفها  
بأنها فتاة تعتمد على غيرها في حياتها، وأن السيدة إنغلثورب  
-مهما كانت عطوفة عموماً- لا تسمح لها بنسيان فضلها عليها.

التفتت مضيفتي إليّ قائلة: سوف يرشدك جون إلى غرفتك.  
العشاء في الساعة السابعة والنصف، وقد تخلينا عن العشاء الثاني  
منذ فترة. السيدة تادمينستر زوجة ممثلنا في البرلمان (وهي ابنة  
اللورد أبوتسبيري) فعلت الأمر نفسه، وهي توافقني على أننا يجب  
أن نضرب المثل في الاقتصاد. إننا أسرة حرب بمعنى الكلمة،  
لا شيء يُرمَى هنا، حتى الأوراق المستعملة تُجمَع وتُرسل في  
أكياس في سبيل الاستفادة منها.

عبّرت عن تقديري، ثم أخذني جون داخل البيت صعوداً

على الدرج العريض الذي يتفرع يميناً وشمالاً إلى الأجنحة المختلفة في المبنى، وكانت غرفتي في الجناح الشمالي تطلّ على الحديقة.

تركني جون، وبعد دقائق قليلة رأيته من نافذتي وهو يمشي ببطء على العشب متأبطاً ذراع سينثيا. سمعت السيدة إنغلثورب تنادي سينثيا بنفاد صبر فجفلت الفتاة وأسرت بالعودة إلى البيت، وفي اللحظة نفسها ظهر رجل من خلف شجرة وسار ببطء في نفس الاتجاه. بدا في الأربعين من عمره تقريباً، أسمر اللون، ذا وجه حليق كئيب جداً، وبدا كما لو أن مشاعر عنيفة هي التي تحركه. نظر إلى الأعلى باتجاه نافذتي بينما كان يمر، وعرفته على الرغم من أنه تغير كثيراً خلال الأعوام الخمسة عشر التي مرّت منذ التقينا آخر مرة. لقد كان أخا جون الأصغر، لورنس كافيندش. وتساءلت في نفسي عن الشيء الذي سبّب ذلك التعبير الغريب على وجهه، ثم صرفته من تفكيري وعدت بعقلي إلى أموري الخاصة.

\* \* \*

مرّ المساء بصورة ممتعة، ثم أشرق الصباح التالي مضيئاً مشمساً، وكنت ممتلئاً بتوقعاتي بقضاء إجازة جميلة. لم أر السيدة كافيندش حتى وقت الغداء عندما تطوّعت لاصطحابي للتمشي، وقد قضينا وقتاً ممتعاً بعد الظهر ونحن نتجول في الغابات ثم عدنا إلى البيت بحلول الخامسة مساءً، وبينما نحن ندخل البهو الكبير أشار إلينا جون للدخول إلى غرفة التدخين. رأيت في الحال من خلال تعبيرات وجهه أن شيئاً مزعجاً قد حدث، وتبعناه إلى داخل الغرفة فأعلق الباب خلفنا.

قال جون: ماري، لقد تشاجرت إيفي مع ألفريد إنغلثورب  
وقررت الرحيل.

- إيفي راحلة؟

هز جون رأسه بالإيجاب وهو عابس وقال: نعم، لقد ذهبت  
إلى الأم و... آه، ها هي إيفي قادمة بنفسها.

دخلت الأنسة هاوارد وهي تزمّ شفيتها بشدة. كانت تحمل  
حقيبة صغيرة وبدت مهتاجة ومصمّمة، وفي موقف دفاعي نوعاً  
ما أخذت في الكلام فجأةً وبعنف: مهما يكن الأمر فقد قلتُ ما  
في نفسي.

صاحت ماري كافيندش: عزيزتي إيفيلين، لا يمكن أن  
يكون هذا حقيقة!

أومأت الأنسة هاوارد برأسها بتجهم وقالت: إنه حقيقة بما  
فيه الكفاية! أخشى أنني قد قلت لإيميلي أشياء لن تنساها أو  
تغفرها بسرعة. ولا أبالي إذا ما دخل بعضها فقط إلى فهمها كماء  
منزلق عن ظهر بطّة! لقد قلت لها بصراحة: "إنك امرأة كبيرة السن  
يا إيميلي ولا يوجد أحمق كالأحمق العجوز. إن الرجل يصغرك  
بعشرين عاماً فلا تخادعي نفسك. من أجل ماذا تزوجك؟ من  
أجل المال! حسناً، لا تدعيه يأخذ الكثير منه. إن للمزارع رايكس  
زوجة صغيرة وجميلة جداً. فقط اسألي ألفريد كم من الوقت  
يقضي هناك". من الطبيعي أنها غضبت جداً، فاسترسلت قائلة:  
"سأحدرك سواء أحببت ذلك أم لا. إن هذا الرجل سيقتلك في  
سريرك بنفس سهولة النظر إليك. إنه سيئ جداً. يمكنك أن تقولي

لي ما تشائين، ولكن تذكّري ما قلته لك... إنه سيء جداً".

سألته السيدة كافيندش: وماذا قالت لك؟

كشّرت الأنسة هاوارد بطريقة معبّرة قائلة: لقد قالت: "حبيبي ألفريد... عزيزي ألفريد... افتراءات فظيعة... أكاذيب فظيعة... امرأة شريرة". كل ذلك لأنني اتهمت «زوجها العزيز»! كلما أسرعُ بمغادرة بيتها كان أفضل، لذلك فإنني ذاهبة على الفور.

- ولكن ليس الآن.

- بل في هذه اللحظة.

جلسنا نحدّق إليها لحظة، وفي النهاية بعد أن وجد جون أن محاولات إقناعها بالبقاء غير مجدية ذهب ليستفسر عن القطارات، وتبعته زوجته وهي تتمم بشأن محاولة الحديث مع السيدة إنغلثورب في هذا الموضوع. وحين غادرت الغرفة تغير وجه الأنسة هاوارد؛ مالت ناحيتي بلهفة قائلة: سيد هيستنغز، أنت رجل شريف. هل يمكنني أن أثق بك؟

دُهشتُ بعض الشيء، فقد وضعت يدها على ذراعي وخفضت صوتها وهمست قائلة: اعتن بها يا سيد هيستنغز، اعتن بإيميلي المسكينة، فهي محاطة بأسمك قرش كثيرة، كلهم آه، إنني أعرف عن أي شيء أتحدث، فلا يوجد واحد منهم غير مُعسر ولا يحاول الحصول على المال منها. لقد حميتها بقدر استطاعتي، وأنا الآن خارج الموضوع. سوف يستغلّونها!

قلتُ: بالطبع يا آنسة هاوارد، سوف أفعل ما بوسعي،

ولكنني متأكد أنك متوترة وثائرة الأعصاب.

قاطعتني وهي تهزّ سبابتها ببطء: أيها الشاب، ثق بي. لقد عشت في هذا العالم أكثر منك. كل ما أطلبه منك هو أن تُبقي عينيك مفتوحتين، وسوف ترى ما أعنيه.

جاء صوت محرك السيارة من خلال النافذة المفتوحة، فنهضت الأنسة هاوارد واتجهت نحو الباب، وكان جون ينادي في الخارج. أو مأت إليّ برأسها ويدها على مقبض الباب وقالت: راقب ذلك الشيطان زوجها أكثر من أي شخص!

لم يكن هناك وقت لقول المزيد، فقد تاهت الأنسة هاوارد في خِصَمَ كلمات الاحتجاج والتوديع، أما السيد والسيدة إنغلثورب فلم يظهرأ. وبينما كانت السيارة تتحرك بعيداً تركت ماري كافيندش المجموعة فجأة وسارت باتجاه الطريق لتستقبل رجلاً طويلاً ملتحيّاً بدا بوضوح أنه متجه نحو القصر، واحمرّت وجنتاها وهي تمدّ يدها إليه.

سألتُ بحدّة لأنني ارتبت فيه تلقائياً: من هذا الرجل؟

أجاب جون باختصار: إنه الدكتور بورشتاين.

- ومن هو الدكتور بورشتاين هذا؟

- إنه يقيم في القرية ويقضي فترة راحة بعد إصابته بانهيار عصبي شديد. إنه اختصاصي من لندن، رجل ذكي جداً، وهو أحد أعظم الخبراء في السموم على ما أظن.

تدخلت سينثيا باندفاع قائلة: كما أنه صديق حميم لماري.

قطب جون كافيندش حاجبيه وغيّر الموضوع قائلاً: تعال نتجول يا هيستنغز، إن هذا الموقف من الأمور البغيضة. كان لسانها لاذعاً دائماً، ولكن ليس في إنكلترا صديق مخلص أكثر من إيفيلين هاوارد.

سرنا في طريق يعبر المزرعة ومضينا إلى القرية عبر الغابات التي كانت تحدّ أحدَ جوانب أملاك القصر. وبينما كنا نمر عبر إحدى البوابات في طريق العودة جاءت امرأة شابة جميلة لها ملامح غجرية من الاتجاه المعاكس، انحنت وابتسمت، فأعجبتُ بها قائلاً: إنها فتاة جميلة.

عبس جون وقال: إنها السيدة رايكس.

- تلك التي ذكرتها السيدة هاوارد...

قال جون بفضافة غير ضرورية: تماماً.

وفكرتُ بالسيدة العجوز ذات الشعر الأبيض في القصر الكبير وبذلك الوجه الصغير الذي يشعّ حيوية والذي ابتسم لنا قبل قليل، وانتابني شعور غامض بالتشاؤم، لكنني أبعدت هذا الخاطر جانباً عن تفكيري.

قلت ليجون: إن «ستايلز» مكان قديم وساحر بالفعل.

هزّ رأسه وقال هو عابس: نعم، إنه مكان جميل. سوف يكون لي في يوم من الأيام. كان سيكون لي الآن على وجه الحق،

فقط لو أن والدي كتب وصية أصولية، وحينها ما كنت لأصبح  
مُعسراً كما أنا الآن.

- هل أنت معسر حقاً؟

- يا عزيزي هيستنغز، لا أخفي عليك أنني مفلس تماماً.

- ألا يستطيع أخوك مساعدتك؟

- لورنس؟ لقد صرف كل ما كان يملكه في نشر أشعاره  
البائسة بطبعات فاخرة. لا، إننا جمعُ مُعدِّمٌ جداً. يجب أن أترف  
بأن أُمِّي كانت دائماً طيبة جداً معنا... حتى الآن بالطبع، فمنذ  
زواجها...

وتوقف فجأة عابساً. ولأول مرة شعرت أن شيئاً في جو  
المنزل يتعدّر تحديده قد ذهب بذهاب إيفيلين هاوارد. ربما كان  
وجودها يشكّل عامل أمان، أما الآن فإن ذلك الأمان قد زال  
وبدا الجو حافلاً بالشكوك. وتراءى لي الوجه الشرير للدكتور  
بورشتاين بصورة غير مفرحة، وامتلاء عقلي بالريبة من كل شيء  
وكل شخص. وللحظة تولّد لديّ هاجسٌ داخلي باقتراب الشر.

\* \* \*



## الفصل الثاني

### يوما السادس عشر والسابع عشر من الشهر

لقد وصلتُ إلى «ستايلز» في الخامس من تمّوز (يوليو)، وسوف أروي الآن أحداث يومَي السادس عشر والسابع عشر من ذلك الشهر. ومن أجل راحة القارئ سألخص أحداث هذين اليومين بأكثر دقة ممكنة، وقد رتبّتها معتمداً على الإفادات الطويلة المملّة الواردة في المحاكمة.

تلقيت رسالة من إيفيلين بعد يومين من مغادرتها تخبرني فيها بأنها تعمل ممرضة في المستشفى الكبير في مدلاينهام (وهي بلدة صناعية تبعد نحو خمسة عشر ميلاً) وتتوسل إليّ إعلامها إذا كانت السيدة إنغلثورب قد أبدت أي رغبة في المصالحة معها.

كان الأمر الوحيد المزعج في أيامي الهادئة هو سلوك ماري كافيندش غير العادي وغير المبرّر (من وجهة نظري) في تفضيلها رفقة الدكتور بورشتاين. لم أستطع فهم ما أعجبها في هذا الرجل، ولكنها كانت دائماً تطلب منه الحضور إلى البيت وغالباً ما كانت تسير معه فترات طويلة، وأعترف بأنني لم أستطع فهم سرّ جاذبيته.

كان يوم الإثنين السادس عشر من تموز (يوليو) مليئاً بالعمل والاضطراب؛ كان البازار المشهور قد أُقيم يوم السبت، أما الحفلة التي لها علاقة بنفس النشاط الخيري والتي كان على السيدة إنغلثورب قراءة شعر عن الحرب فيها فكان مقرراً لها أن تُقام في تلك الليلة.

وقد شُغلنا كلنا في الصباح بإعداد وترتيب القاعة في القرية، والتي كان مقرراً إقامة الحفلة فيها. تناولنا غداء متأخراً وقضينا فترة بعد الظهر في الحديقة للراحة، ولاحظت أن تصرف جون كان غير عادي نوعاً ما، فقد بدا قلقاً مرتبكاً.

بعد تناول الشاي ذهبَت السيدة إنغلثورب لترتاح قبل أن تقوم بأعمالها وأنشطتها في المساء، وقد تحدّثتُ ماري كافيندش في مباراة تنس. وفي نحو الساعة السابعة إلا ربعاً نادتنا السيدة إنغلثورب قائلة إن العشاء سيكون مبكراً في تلك الليلة، فتدافعنا لنكون مستعدين في الوقت المحدد، وقبل انتهائنا من العشاء كانت السيارة تنتظر في الخارج.

كانت الحفلة ناجحة جداً ولقيت القراءة الشعرية للسيدة إنغلثورب تصفيقاً حاراً من الحضور، وكان هناك أيضاً مشهد تمثيلي لعبت سينثيا دوراً فيه، ولم تعد معنا لأنها دُعيت إلى حفلة عشاء ثم لقضاء الليلة مع بعض صديقاتها اللاتي اشتركنَ معها في التمثيلية.

بقيت السيدة إنغلثورب في الصباح التالي في سريرها، وتناولت إفطارها فيه حيث كانت مجهّدة، ولكنها ظهرت في

مزاجها المنتعش في نحو الساعة الثانية عشرة والنصف، وأخذتنا -أنا ولورنس- إلى حفلة غداء. قالت: إنها دعوة لطيفة من السيدة روليستون، أخت السيدة تادمينستر. لقد جاءت عائلة روليستون مع وليم الفاتح، وهي إحدى أقدم عائلاتنا.

اعتذرت ماري عن الذهاب معنا بحجة ارتباطها مع الدكتور بورشتاين. واستمتعنا بالغداء، وفيما كنا عائدتين اقترح لورنس أن نسلك اتجاه تادمينستر الذي يبعد نحو ميل عن طريقنا، وذلك لزيارة سينثيا في صيدليتها. أجابت السيدة إنغلثورب بأن الاقتراح ممتاز، ولكن بما أن عليها كتابة عدة رسائل فإنها ستُنزلنا هناك ثم نعود مع سينثيا بالعربة ذات الحصان.

بقينا موضع شك العامل في المستشفى إلى أن جاءت سينثيا لتكفلنا، وبدت هادئة وجميلة بمعطفها الأبيض الطويل. صعدت بنا إلى مُعتكفها وقدمتنا إلى زميلتها الصيدلانية، وهي امرأة تثير الرهبة تناديها سينثيا بمرح باسم «نيس». وبينما كانت عيناى تدوران حول الغرفة الصغيرة تعجبت قائلاً: يا لها من زجاجات كثيرة! هل تعرفين محتوياتها جميعاً بحق؟

تأوهت سينثيا قائلة: آه، قُل شيئاً جديداً. إن كل شخص يدخل هنا يكرر هذا الكلام، حتى لقد بتنا نفكر بتخصيص جائزة لأول شخص لا يقول: "يا لها من زجاجات كثيرة!" كما أنني أعرف أن الشيء التالي الذي ستقوله هو: كم شخصاً سممت؟

دافعت عن نفسي بالضحك، فأضافت: لو عرفتم فقط كم من السهل تسميم إنسان وقتله بالخطأ لما ضحكتم بسبب

ذلك. حسناً، تعالوا لتناول الشاي، فلدينا جميع أنواع المخازن السرية في هذه الخزانة. لا يا لورنس، تلك خزانة السموم... نعم، الخزانة الكبيرة.

شربنا الشاي في جوّ مرح، وساعدنا سينثيا بغسل الأكواب بعد ذلك، وكنا نعيد آخر ملعقة شاي إلى موضعها عندما سمعنا طرقاتاً على الباب، وفجأة تصلّبت ملامح وجهي سينثيا ونبيس معطية تعبيراً صارماً، وقالت سينثيا بصوت حاد متمرس: ادخل.

ظهرت ممرضة شابة في وجهها ملامح الخوف وهي تحمل قارورة وقدّمتها إلى نبيس، التي أشارت بدورها إلى سينثيا مدممة بملاحظة مبهمّة بعض الشيء، قائلة: في الحقيقة أنا لا أعمل اليوم هنا.

تناولت سينثيا الزجاجاة وفحصتها بصرامة قاض ثم قالت بلهجة الحسم: كان يجب أن تُرسل هذه القارورة إلينا في الصباح.

قالت الممرضة: رئيسة الممرضات آسفة جداً، فقد نسيّت.

ردّت سينثيا: يجب على رئيسة الممرضات قراءة التعليمات المعلّقة على الباب من الخارج.

خمنّت من تعبير وجه الممرضة الصغيرة أنها ليست لديها الجرأة لتبليغ هذه الرسالة لرئيسة الممرضات المرعبة. وأنهت سينثيا قائلة: لذلك لن تكون جاهزة حتى الغد.

قالت الممرضة: ألا تظنين أن بإمكانك تجهيزها هذه الليلة؟

قالت سينثيا بهدوء: حسناً، إن العمل كثير جداً، ولكن إذا

بقي لدينا وقت فسوف نجّهزها.

خرجت الممرضة الصغيرة، وفي الحال تناولت سينثيا  
قارورة عن الرف وأعدت تعبئة الزجاجه ووضعتها على الطاولة.  
ضحكت قائلاً: يجب المحافظة على النظام والانضباط؟

قالت: تماماً. تعالوا لنخرج إلى شرفتنا الصغيرة، فمنها  
يمكنكم رؤية جميع الأجنحة الخارجية في المستشفى.

تبعث سينثيا وزميلتها فأشارا إلى الأجنحة المختلفة، وبقي  
لورنس خلفنا في الداخل، وبعد بضع دقائق نادته سينثيا دون أن  
تلتفت ليأتي وينضم إلينا، ثم نظرت إلى ساعتها وسألت: هل بقي  
شيء آخر نعمله يا نيس؟

- لا.

- حسناً، إذن بإمكاننا أن نغلق الصيدلية ونذهب.

\* \* \*

في ذلك المساء رأيت لورنس مبتهجاً على غير عادته. لقد  
كان -مقارنةً بجون- شخصاً غامضاً من الصعب معرفته؛ كان  
بعكس أخيه في كل سلوك تقريباً، فهو خجول ومتحفظ بصورة  
غير عادية. ومع ذلك كان له أسلوب ساحر بالتأكيد، وبتصوري  
فإن أي شخص يعرفه معرفة حقيقية سوف يحبه حباً عميقاً. وقد  
لاحظت دائماً أن سلوكه نحو سينثيا كان متحفظاً، أما هي فقد  
كانت تميل إلى الابتعاد عنه. ولكنهما كانا مبتهجين ذلك المساء  
وثرثرا معاً كأنهما طفلان.

وبينما كنا نسير في اتجاه القرية تذكّرت أنني بحاجة لبعض الطوابع فتوجّهنا نحو مكتب البريد، وبينما كنت خارجاً من المكتب اصطدمت برجل ضئيل كان داخلاً لتوّه. ابتعدت عنه واعتذرت، وفجأة عانقني وقبّلني بحرارة مع صيحة تعجب قائلاً: صديقي هيستنغز! هذا أنت فعلاً يا صديقي هيستنغز!

هتفت: بوارو!

عدت إلى العربة وقلت: إنه لقاء مُفرح يا آنسة سينثيا. هذا صديقي القديم السيد بوارو الذي لم أره منذ سنوات.

قالت سينثيا بابتهاج: آه، إننا نعرف السيد بوارو، ولكنني لم أعرف أنه صديقك.

قال بوارو باهتمام: نعم، فعلاً؛ أنا أعرف الآنسة سينثيا. أنا هنا نتيجة عمل خيري لتلك السيدة الطيبة إنغلثورب.

ثم أضاف إذ نظرت إليه متسائلاً: نعم يا صديقي، لقد غمّرت بكرمها سبعة من أبناء بلدي الذين لجؤوا -للأسف- إلى هنا هرباً من بلدهم الأصلي. نحن البلجيكيين سوف نتذكرها دائماً بكل امتنان.

كان بوارو رجلاً ضئيلاً غريب الشكل بصورة غير عادية، فشكل رأسه يشبه البيضة تماماً وهو يميل به جانباً على الدوام، وكان شاربه صلباً عسكري الشكل، وطوله لا يتجاوز مئة وخمسة وخمسين سنتمترًا، ولكنه يتحرك بمنتهى الكرامة، أما أناقة ملبسه فلا تُصدّق، وأظن أن ذرّة من الغبار يمكن أن تسبب له ألماً أكثر

من إصابته برصاصة! ومع ذلك، فإن هذا الرجل الطريف الضئيل ذا الأناقة المفرطة (الذي أحزنني أن أراه قد أصبح يعرج بعض الشيء) كان أحد أشهر رجال الشرطة في بلجيكا في وقت ما. كانت محققاً ذا حاسة غير عادية، وقد حقق نجاحات في الكشف عن بعض أكثر القضايا تعقيداً في ذلك الوقت.

أشار إلى بيته الصغير الذي يسكنه مع زملائه البلجيكين، وقد وعدته بالزيارة في أقرب فرصة. ثم رفع قبعته محيياً سينثيا وسرنا مبتعدين.

قالت سينثيا: إنه رجل محبوب، لم يخطر ببالي أنك تعرفه.

- لقد كنت تستمتعين بالحديث مع شخص مشهور من غير أن تعرفي.

وهكذا، وفي الجزء الأخير من الطريق ونحن عائدون إلى البيت رحلت أسرد قصص الانتصارات والأعمال البطولية لهيركيول بوارو. وعدنا بمزاج مرح جداً، وبينما كنا ندخل البهو خرجت السيدة إنغلثورب من حجرة جلوسها وقد بدت منزعجة وكان وجهها محتقناً، وقالت: آه، لقد أتيتم؟

قالت سينثيا: هل بكِ شيء يا عمّة إيميلي؟

أجابت السيدة إنغلثورب بحدة: بالتأكيد لا، ماذا يمكن أن يكون بي؟

ثم نادى الخادمة دوركاس -عندما لمحتها وهي ذاهبة إلى غرفة الطعام- وطلبت منها إحضار بعض الطوابع إلى حجرة

جلوسها. قالت الخادمة العجوز: نعم يا سيدتي. ثم أضافت بعد تردد قليل: ألا تعتقدين أن من الأفضل أن تذهبي إلى الفراش يا سيدتي؟ إنك تبدين متعبة جداً.

قالت السيدة إنغلثورب: لعلك على صواب يا دوركاس. لكن لا، ليس الآن، فعليّ أن أكمل بعض الرسائل قبل موعد إرسال البريد. هل أشعلت نار المدفأة في غرفتي كما قلت لك؟  
- نعم يا سيدتي.

- إذن فسوف أذهب إلى النوم بعد تناول العشاء مباشرة.

ثم عادت إلى حجرة جلوسها. وحدّقت سينثيا إليها وهي ذاهبة وقالت للورنس: يا إلهي! لا أعرف ماذا حصل لها؟

بدا وكأنه لم يسمعها، فقد دار على عقبيه وخرج من البيت دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

اقترحتُ على سينثيا أن نلعب شوطاً سريعاً في التنس قبل موعد العشاء فوافقت. ركضتُ إلى غرفتي لأحضر المضارب، وقابلت ماري كافيندش وهي تنزل الدرج. قد أكون واهماً، ولكنها أيضاً بدت قلقة وغريبة الشكل، وقلت محاولاً أن لا أظهر اهتمامي قدر الإمكان: هل تمتعت بنزهة جيّدة مع الدكتور بورشتاين؟

أجابت بحدّة: لم أذهب معه. أين السيدة إنغلثورب؟

- في حجرة جلوسها.

قبضت يدها بشدّة على درابزين الدرج، وبدت وكأنها تُعدّ نفسها للقاء عاصف، ثم ذهبَت مُسرعةً إلى الأسفل باتجاه حجرة الجلوس حيث أغلقت الباب وراءها. وبينما كنت خارجاً إلى ملعب التنس بعد دقائق معدودة كان عليّ أن أمرّ بجانب نافذة الحجرة المفتوحة، فاستطعت سماع جزء من الحوار التالي. كانت ماري كافيندش تقول بصوت امرأة تسعى يائسة للسيطرة على نفسها: إذن فأنت لن تطلعي عليّ؟

أجابتها السيدة إنغلثورب: عزيزتي ماري، ليس لها علاقة بتلك المسألة.

- إذن أطلعي عليها.

- أقول لك إنها ليست ما تتصورينه؛ إنها لا تعنيك بأي شيء.

أجابتها ماري بمرارة ظاهرة: بالطبع، كان يجب أن أعرف أنك سوف تتستري عليه.

كانت سينثيا تنتظرنني وحيّتي بلهفة قائلة: هل تعرف؟ لقد حصل شجار عنيف. علمت بالأمر من دوركاس.

- أيّ شجار تعنين؟

- بينه وبين العمّة إيميلي. أرجو أن تكتشفه في النهاية!

- إذن هل كانت دوركاس هناك؟

- بالطبع لا، لقد «تصادف» أن مرّت بجانب الباب، وكان شجاراً حقيقياً أصيلاً. أتمنى لو أعرف سببه.

فكرت بوجه السيدة رايكس العجري وتحذيرات إيفيلين هاوارد، ولكنني قررت أن أحافظ على هدوئي، بينما استنفدت سينثيا كل افتراض ممكن، وكانت تأمل بأن "نطرده العمدة إيميلي ولا تتكلم معه أبداً مرة أخرى".

كنت متلهفًا للانفراد بجون ولكنه لم يكن موجوداً في أي مكان، فمن الواضح أن شيئاً خطيراً قد وقع ذلك المساء. حاولت أن أنسى تلك الكلمات القليلة التي سمعتها، ولكنني لم أستطع طردها من عقلي بالكامل مهما حاولت. ما الذي كان يهّم ماري كافيندش في تلك المسألة؟

كان السيد إنغلتورب في صالة الاستقبال عندما نزلت لتناول العشاء. كان وجهه جامداً كالعادة، وقد صدمني التفكير مجدداً بعدم الواقعية الغريبة لهذا الرجل. وأخيراً نزلت السيدة إنغلتورب. كانت ما تزال مستتارة، وفي أثناء الطعام سادَ شيء من الصمت المتوتر، وبدا إنغلتورب هادئاً بشكل غير مألوف، ففي العادة كان يحيط زوجته ببعض الاهتمام (كوضع وسادة خلف ظهرها ولعب دور الزوج المخلص معها) لكنه لم يصنع شيئاً من ذلك في تلك الليلة.

وفور تناول العشاء عادت السيدة إنغلتورب إلى حجرتها مرة أخرى، ونادت قائلة: أرسلني لي القهوة هنا يا ماري، لديّ خمس دقائق فقط قبل موعد استلام البريد.

ذهبت أنا وسينثيا وجلسنا في صالة الاستقبال بجانب النافذة المفتوحة. أحضرت ماري كافيندش القهوة لنا وكانت تبدو

مستشارة أيضاً، ثم سألتنا: هل تحبون الأضواء أيها الشباب أم أنكم تستمتعون برؤية الشفق؟ هلا تأخذين قهوة السيدة إنغلثورب إليها يا سينثيا؟ سوف أصبها لها.

قال السيد إنغلثورب: لا تشغلي يا ماري، سوف آخذها إلي إيميلي بنفسني.

صبّ القهوة ثم خرج من الغرفة وهو يحملها بحرص، وتبعه لورنس، وجلست ماري بجانبنا. جلسنا نحن الثلاثة صامتتين لبعض الوقت. كانت ليلة رائعة، حارة وهادئة، وكانت ماري تُهَوِّي نفسها برفق بمروحة من سعف النخيل، ثم قالت بصوت خافت: الجو حار جداً؛ أتوقع عاصفة رعدية.

للأسف لا يمكن للحظات الهدوء أن تدوم، فقد وصل من البهو صوت معروف جيداً وغير محبوب بالنسبة لي فأفسد استرخائي. قالت سينثيا متعجبة: دكتور بورشتاين؟ يا له من وقت غريب لتأتي فيه!

نظرت إلى ماري كافيندش لكنني أي قلق لم يظهر عليها، ولم يتغير الشحوب الخفيف في خديها. وبعد لحظات جاء بورشتاين فأدخله ألفريد إنغلثورب، وكان يضحك ويحتج بأنه لم يكن في وضع مناسب للدخول إلى غرفة استقبال. وفي الحقيقة كان منظره سيئاً وملابسه ملطخة بالوحل، وهتفت ماري كافيندش: ماذا كنت تفعل يا دكتور؟

قال: لا بد أن أعتذر منكم، فأنا لم أرغب بالدخول ولكن السيد إنغلثورب ألح عليّ.

قال جون وهو يدخل من البهو: حسناً يا بورشتاين، إنك في ورطة! اشرب بعض القهوة وأخبرنا ما الذي كنت تفعله.

قال: شكراً لك، سأفعل.

ضحك بكآبة وهو يصف كيف اكتشف صنفاً نادراً جداً من السرخس في مكان يتعذر الوصول إليه، وكيف زلّت قدمه في أثناء محاولة الحصول عليه فوق في بركة قريبة بطريقة مخزية. ثم أضاف: سرعان ما جفت ملابسني في الشمس، ولكنني أخشى أن يكون مظهري غير لائق.

في تلك اللحظة نادى السيدة إنغلثورب سينثيا فخرجت الفتاة مسرعة. قالت لها: أريدك فقط أن تحملي حقيبة رسائلي إلى الأعلى يا عزيزتي، فأنا ذاهبة إلى النوم.

كان الباب المؤدى إلى القاعة واسعاً. وكنت قد نهضت عندما نهضت سينثيا، وكان جون قريباً بجانبني، وبذلك كان هنالك ثلاثة شهود يمكن أن يقسموا على أن السيدة إنغلثورب كانت تحمل قهوتها بيدها رغم أنها لم تتذوقها بعد.

كانت أمسيتي قد فسدت تماماً بوجود الدكتور بورشتاين الذي بدالي أنه لن يذهب أبداً! ثم نهض أخيراً فتنقّست الصعداء.

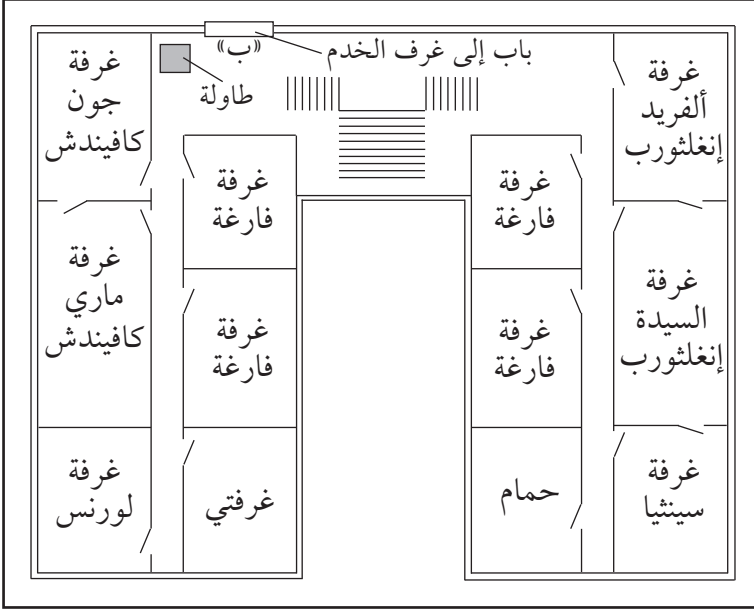
قال السيد إنغلثورب: "سأذهب معك إلى القرية لأقابل وكيلنا وأناقش معه حسابات الأملاك". ثم التفت إلى جون قائلاً: لا حاجة لأن ينتظرنني أحد منكم، فسوف آخذ مفتاح الباب الخارجي.

\* \* \*

## الفصل الثالث

### ليلة المأساة

لكي أوضح هذا الجزء من القصة أرفق المخطط التالي للطابق الأول لقصر «ستايلز». يمكن الوصول إلى غرف الخدم من خلال الباب «ب»، ولا يوجد لهم اتصال بالجناح الأيمن حيث توجد غرفتا السيد والسيدة إنغلثورب.



شعرت أن الوقت كان نحو منتصف الليل عندما أيقظني لورنس كافيندش. كان يحمل شمعة في يده، وعرفت فوراً من وجهه المنفعل أن شيئاً خطيراً قد حصل. سألته وأنا أنتصب في سريري محاولاً تجميع أفكارى: ما الأمر؟

أجاب: أخشى أن أمي مريضة بشدة. يبدو أنها تعاني من نوبة ما، وللأسف فقد أوصدت الباب على نفسها.

قلت: سأتي على الفور.

وقفزت من السرير فارتديت رداء النوم، وتبعته عبر الممر ثم البهو إلى الجناح الأيمن للبيت. وانضمّ إلينا جون كافيندش، وكان اثنان من الخدم يقفان أمامنا في حالة دهشة ورعب. وسأل لورنس أخاه: ماذا يجب أن نفعل برأيك؟

فكرت بأن شخصيته المترددة لم تكن يوماً أوضح مما هي عليه في تلك اللحظة. أدار جون مقبض باب غرفة السيدة إنغلثورب بقوة ولكن بلا نتيجة، وكان واضحاً أنه مُقفل بالقفل أو موّصد بالمزلاج من الداخل. وفي ذلك الوقت كان جميع من في البيت قد استيقظ، وكانت أصوات استغاثة مُقلقة تُسمع من داخل الغرفة، وبدأ بوضوح أن شيئاً يجب أن يُفعل.

صرخت دوركاس: حاول أن تدخل عبر غرفة السيد إنغلثورب يا سيدي. يا لسيدتي المسكينة!

وفجأة أدركت أن ألفريد إنغلثورب لم يكن موجوداً معنا وأنه الوحيد الذي لم يُعلن عن حضوره. فتح جون باب غرفة

ألفريد، وكانت مظلمة جداً ولكن لورنس تبعه بالشمعة، وعلى ضوئها الضعيف رأينا أن السرير لم يَنم عليه أحد، ولم تكن هناك إشارة على استعمال الغرفة في تلك الليلة.

ذهبنا مباشرة إلى الباب الداخلي فوجدناه أيضاً مقفلاً أو موصداً بالمزلاج من الداخل. ما الذي يجب عمله؟ صرخت دوركاس وهي تعصر يديها: آه، سيدي العزيز! ماذا سنفعل الآن؟

قال جون: أظن أننا يجب أن نحاول كسر الباب، مع أن هذا سيكون عملاً قاسياً. دعوا واحدة من الخادِمات تهبط لتوقظ بيبي وتطلب منه الذهاب لاستدعاء الدكتور ويلكنز في الحال. والآن سنحاول كسر الباب... ولكن، لحظة من فضلكم، ألا يوجد باب يؤدِّي إلى الغرفة من داخل غرفة سينثيا؟

أجابت دوركاس: نعم يا سيدي، ولكنه موصد بالمزلاج دائماً أيضاً. إنه لم يُفتح قط.

- حسناً، يجب علينا أن نتأكد.

ركض بسرعة إلى الممر باتجاه غرفة سينثيا، وكانت ماري كافيندش هناك وهي تهزّ الفتاة (التي يبدو أنها كانت من أصحاب النوم العميق) مُحاولَةً إيقاظها. وخلال لحظة أو اثنتين عاد جون وهو يقول: لا فائدة؛ إنه مقفل أيضاً. يجب أن نكسر الباب. أظن أنه أقل صلابة من الباب الذي في الممر.

تعاونًا جميعاً في دفع الباب. كان إطار الباب الخشبي صلباً وقاوم جهودنا المضنية لفترة طويلة، ولكننا شعرنا أخيراً بأنه قد

بدأ يستسلم تحت ضغطنا، وفي النهاية انفتح الباب محدثاً صوتاً مزعجاً.

دخلنا جميعاً معاً وكان لورنس ما يزال يحمل شمعته. كانت السيدة إنغلثورب ممدّدة على سريرها وجسمها يتلوى بسبب التشنجات العنيفة، وبدا وكأنها قد قلبت الطاولة الموضوعة بجانب سريرها خلال واحدة من هذه التشنجات. وبينما كنا ندخل كانت أطرافها قد ارتخت وسقطت على الفراش.

أسرع جون فأضاء مصباحاً نفطياً كان في الغرفة، ثم عاد إلى آني (وهي إحدى الخادمت) وأرسلها لتتنزل إلى غرفة الطعام لإحضار عصير الليمون، ثم أسرع إلى أمه بينما فتحت أنا الباب المؤدي إلى الممر. والتفتُ إلى لورنس لأقترح أن أتركهم الآن حيث لم تعد حاجة لخدماتي، ولكن الكلمات تجمدت على شفتي.

أنا لم أر قط مثل تلك النظرة الشاحبة على وجه رجل من قبل! كان وجهه أبيض بلون الطباشير، والشمعة التي يحملها بيده المرتجفة تنساب قطراتها الذائبة على السجادة، وعيناه المليئتان بالرعب (أو بعاطفة مشابهة أخرى) قد تسمرتا على موقع فوق رأسي على الجدار البعيد وكأنه رأى شيئاً جمّده وحوّله إلى صخرة! وغريزياً تتبعت اتجاه عينيه، ولكنني لم أر أي شيء غير عادي؛ كانت بقايا النار الواهنة ما تزال تشع نوراً خافتاً في الموقد، ولم يبدُ صفّ التماثيل الصغيرة على رفّ الموقد مُخيفاً أبداً.

يبدو أن العنف الذي صاحَبَ نوبة السيدة إنغلثورب قد

مضى ، فقد باتت قادرة على الكلام في لهات قصير. كانت تقول :  
أنا الآن أفضل... أمر مفاجئ جداً... كان غباء مني أن أقفل الباب  
على نفسي...

سقط ظل على السرير ، وعندما نظرت إلى صاحبه رأيت  
ماري كافيندش تقف بجانب الباب وذراعها حول سينثيا. بدا  
أنها تسند الفتاة التي ظهرت مذهولة للغاية وعلى غير عاداتها ؛  
كان وجهها متورداً جداً وهي تتشأب باستمرار ، وقالت السيدة  
كافيندش بصوت واضح خافت: إن سينثيا المسكينة خائفة جداً.

لاحظت أن ماري نفسها كانت ترتدي ملابس العمل ؛ إذن  
كان الوقت متأخراً أكثر مما توقعت ولم نكن في منتصف الليل.  
ورأيت شعاعاً باهتاً من ضوء النهار من خلال الستائر ، وكانت  
الساعة على رف الموقد تشير إلى نحو الخامسة صباحاً.

أجفلتني صرخة مخنوقة من السرير. كانت نوبة جديدة من  
الألم تداهم السيدة الكبيرة المسكينة ، وكانت التشنجات عنيفة  
ومرعبة لا يمكن مشاهدتها. كل شيء بدا في فوضى ، وتزاحمنا  
حولها ولا حيلة لنا لمساعدتها أو التخفيف عنها ، ثم رفعتها النوبة  
الأخيرة عن سريرها حتى بدت وكأنها تستند على رأسها وكعييها  
فقط ، وتقوَّس جسمها بطريقة غير عادية.

حاول كل من ماري وجون عبثاً تقديم مزيد من الليمون لها.  
ومضت اللحظات سريعة ، وتقوَّس الجسد على نفسه مرة أخرى  
بتلك الطريقة الغريبة... وفي تلك اللحظة شق الدكتور بورشتاين  
طريقه بحزم داخل الغرفة. وقف جامداً للحظة وهو يحدِّق إلى

الشخص الممدد على السرير، وفي نفس اللحظة صرخت السيدة إنغلثورب بصوت مخنوق وعيناها على الدكتور: ألفريد، ألفريد...

ثم سقطت على الفراش بلا حراك.

وصل الطبيب إلى السرير بخطوة سريعة وأمسك بذراعيها ليحركها بقوة وكأنه يقوم بعملية تنفس اصطناعي فيما ظهر لي، ووجهه إلى الخدم بعض الأوامر الحادة المختصرة، وقد أجبرتنا حركة متعجرفة من يده على الابتعاد جميعاً نحو الباب.

راقبناه مذهولين، رغم ظنّي أننا كنا نحسّ بأن الوقت قد فات وأنه لا يمكن عمل شيء الآن. وكان التعبير على وجهه هو الآخر يعكس ضالة أمله، وأخيراً توقف عن مهمته وهو يهزّ رأسه بأسى. في تلك اللحظة سمعنا في الخارج وقع خطوات الدكتور ويلكنز، وهو الطبيب الخاص للسيدة إنغلثورب، وكان رجلاً بديناً ضئيل الجسم سريع الغضب. أوضح له الدكتور بورشتاين بكلمات قليلة كيف تصادف مروره خارج البوابة عندما خرجت السيارة لتحضر الطبيب فركض إلى البيت بسرعة بينما أكملت السيارة طريقها لتحضر الدكتور ويلكنز، وبإيماءة باهتة من يده أشار إلى الجسد المسجّي على السرير.

همهم الدكتور ويلكنز قائلاً: هذا محزن جداً، محزن جداً. كانت السيدة المسكينة دائماً تعمل فوق طاقتها، الكثير فوق طاقتها، على الرغم من نصيحتي لها. لقد حذرتها وطلبت منها أن تتروّى، ولكن حماسها للعمل الطيب كانت كبيرة جداً. لقد ثارت الطبيعة... ثارت الطبيعة!

كان الدكتور بورشتاين - كما لاحظت- يراقب الطبيب المحلّي بتمعّن، وبقيت عيناه مثبتتين عليه وهو يتكلم. قال له: إن التشنجات كانت غريبة في عنفها يا دكتور ويلكنز. أنا آسف لأنك لم تكن هنا في الوقت المناسب لتشهدها. كانت تشنجات شبيهة بتلك التي تصاحب مرض الكُزاز.

قال الدكتور ويلكنز بهدوء: آه!

قال الدكتور بورشتاين: أريد أن أتحدث معك على انفراد.

ثم التفت إلى جون وقال: إذا كنت لا تمنع؟

رد جون: بالتأكيد لا مانع.

خرجنا جميعاً إلى الممر تاركين الطبيين وحدهما، وسمعت الباب وهو يُقفل بالمفتاح خلفنا، ثم نزلنا إلى الأسفل ببطء. كنت منفعلاً بشدة، فإن لديّ مقدرة أكيدة على الاستنتاج، وقد وُلد أسلوب الدكتور بورشتاين طائفة من الشكوك الجامحة في عقلي.

وضعت ماري كافيندش يدها على ذراعي وقالت: ما الأمر؟

لماذا بدا الدكتور بورشتاين غريباً جداً؟

نظرت إليها قائلاً: هل تعلمين بماذا أفكر؟

- بماذا؟

قلت لها وأنا أنظر حولي والجميع بعيد عن مجال السمع: استمعي! وخفضت صوتي إلى الهمس قائلاً: أعتقد أنها قد سُمّمت! أنا متأكد أن الدكتور بورشتاين يشك في ذلك.

فتراجعت بظهرها إلى الجدار وتوسعت عيناها بشكل غريب  
وقالت: ماذا؟! ثم هتفت بصرخة مفاجئة أجفلتني: لا، لا، لا  
يمكن، لا يمكن!

ثم ابتعدت عني واندفعت صاعدةً الدرج، فتبعتها خائفاً من  
أن تفقد الوعي فوجدتها ترتكز على درابزين الدرج وهي شاحبة  
جداً. أشاحت بعيداً بنفاد صبر قائلة: لا، لا، اتركني، أريد أن  
أكون وحدي. دعني فقط لدقيقة أو دقيقتين واذهب إلى الآخرين.

أطعتها على مبيض، وكان جون ولورنس في غرفة الطعام  
فانضمت إليهما. كنا جميعنا صامتين، ولكنني أعتقد بأنني قد  
عبرت عن أفكارنا جميعاً عندما قطعت حاجز الصمت وسألت:  
أين السيد إنغلثورب؟

هزّ جون رأسه قائلاً: إنه ليس في البيت.

والتفت عيوننا. أين ألفريد إنغلثورب؟ كان غيابه غريباً  
وصعب التبرير. وتذكرت كلمات السيدة إنغلثورب وهي تُحتضر.  
تُرى ماذا يوجد خلف تلك الكلمات؟ ماذا كان يمكن أن نخبرنا  
أيضاً لو كان لديها الوقت؟

وأخيراً سمعنا الطيبين ينزلان الدرج. بدا الدكتور ويلكنز  
منشغلاً ومنتبهاً وهو يحاول إخفاء اهتياجه الداخلي تحت ستار من  
الهدوء المحتشم، فيما بقي الدكتور بورشتاين في خلفية الموقف  
ووجهه ذو اللحية الكئيبة لا ينم عن شيء.

كان الدكتور ويلكنز هو الناطق باسم الاثنين، فتقدّم مخاطباً

جون: سيد كافيندش، أريد موافقتك على تشريح الجثة.

سأل جون بحزن: هل هذا ضروري؟

واكتسى وجهه بمظاهر الألم، فقال الدكتور بورشتاين: بلا شك.

- أتقصد بقولك هذا أن...؟

- لا أنا ولا الدكتور بورشتاين نستطيع منح شهادة وفاة في ظل هذه الظروف.

خفض جون رأسه وقال: في هذه الحالة ليس لي خيار إلا الموافقة.

قال الدكتور ويلكنز بحزم: شكراً لك. نقترح أن تُفحص الجثة في الغد، أو ربما هذه الليلة.

ثم نظر إلى ضوء النهار قائلاً: في هذه الظروف أخشى أنه لا يمكن تجنب إجراء التحقيق. هذه إجراءات ضرورية، ولكنني أرجو أن لا تكدرّوا أنفسكم.

ران الصمت لفترة، ثم أخرج الدكتور بورشتاين مفتاحين من جيبه وسلّمهما إلى جون قائلاً: هذان مفتاحا الغرفتين. لقد أقفلتهما، وبرأيي فمن الأفضل أن تظلاً مقفلتين في الوقت الحالي.

ثم غادرا البيت.

\* \* \*

رحت أقلب فكرة في ذهني وشعرت أن اللحظة قد حانت الآن لأطرحها، على أنني كنت حذراً بعض الشيء، فقد كنت أعرف أن جون يخاف من أي نوع من الدعاية.

كان متفائلاً بهدوء ويفضل عدم مواجهة المشكلات في منتصف الطريق، وقد يكون من الصعب إقناعه بجدوى خطتي. وشعرت بأن لورنس يمكن أن يكون حليفاً لي، فهو أقل تمسكاً بالتقاليد وله خيال أوسع. لم يكن هنالك شك في أن اللحظة قد حانت لأخذ المبادرة.

قلت: جون، سأطلب منك شيئاً.

- حسناً؟

- هل تذكر حديثي عن صديقي بوارو، الرجل البلجيكي الموجود هنا؟ لقد كان شرطياً سرياً مشهوراً جداً.

- نعم، أذكره.

- أرجو أن تسمح باستدعائه هنا للتحقيق في هذه المسألة.

- ماذا؟ الآن؟ وقبل فحص الجثة؟

- نعم، إن الوقت ذو فائدة إذا... إذا كانت هنالك حادثة بشعة.

صرخ لورنس بغضب: يا للسخف! برأيي فإن كل شيء كان من بنات أفكار بورشتاين، فلم يكن لدى ويلكنز أي فكرة حول هذا الموضوع إلى أن وضع بورشتاين الفكرة في رأسه. ولكنه مثل

كل الاختصاصيين ، فقد استحوذت عليه تلك الفكرة. إن السموم هي هوايته ، لذلك فهو يراها في كل مكان بالطبع.

أعترف بأنني فوجئت بموقف لورنس ، فقد كان نادراً ما يتحمس لأي شيء. وتردد جون ، وأخيراً قال : أنا لا أشعر بمثل ما تشعر به يا لورنس ، وإنني أميل لمنح هيستنز الحرية في العمل... رغم أنني كنت أفضل الانتظار لبعض الوقت ، فنحن لا نريد أي فضيحة غير ضرورية.

صرخت بلهفة: لا ، لا تخف من ذلك ؛ إن بوارو هو الكتمان نفسه.

قال جون: حسناً إذن ؛ تدبر المسألة بطريقتك فإنني أضعها بين يديك ، رغم أن الموضوع سيكون قضية واضحة إذا كان كما نشك. فليغفر لي الله إذا كنت أتهمه بغير وجه حق!

نظرت إلى ساعتني ، وكانت السادسة صباحاً. وقررت أن لا أضيع الوقت ، ومع ذلك فقد سمحت لنفسي بالتأخر خمس دقائق قضيتها في تفتيش المكتبة إلى أن اكتشفت كتاباً طيباً يحتوي على وصف لمادة الإستركنين السامة.

\* \* \*

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمل  
أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت  
لك قراءة ممتعة وعرفتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية  
(وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة،  
ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو  
احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

[www.al-ajyal.com](http://www.al-ajyal.com)